مقدمة

الانسان يمتاز عن سائر الحيوان بالنفس الناطقة وبقوة التفكير فيها تستدل بالأثر على وجود المؤثر ثم ينتهي بها البحث الى أن المؤثر فى الأكوان لابد أن يكون واجب الوجود لذاته تلك فطرة فى الانسان ولذلك ذهب الأمام الأعظم أبو حنيفة النعمان ومن تابعه على ما هو الصحيح الموافق لظاهر الرواية الى أن التكليف منوط اما ببلوغ دعوة الرسل واما بمضي مدة يتمكن العاقل فيها أن يستدل بالمصنوعات على وجود صانعها وذلك لأن الدين من خواص النفس الناطقة كما تقدم — وذهب علماء الأخلاق الى أن الدين ليس من لوازم النفس الناطقة لأن بعض الأمم والقبائل لا تدين بدين

هذا والدين قديم وجد مع الانسان أما عند اهل الأديان السماوية فلأن آدم أبا البشر كان نبياً واما عند غيرهم فلأن الناس فى أطوارهم الأولى كانوا يعتقدون باليوم الآخر وان للانسان نفساً خالدة فكانوا يدفنون مع الميت أمتعته ومقتنياته لينتفع بها فى العالم الآخر وهذا من المبادئ الدينية

وجميع الأمم والقبائل الآن تعتقد بعالم الأرواح والمتوحشون منهم ينسبون الموت والمرض للروح وهذه عندهم كالنفس الا أن الروح أقوى واكثر دخلا فى أحوال الناس ومصالحهم فينسبون اليها الموت والمرض والمحن والخطوب لذلك ترى المتوحشين يحرصون على دفع غضب الأرواح الشريرة باسترضاء الأرواح الصالحة التى هى غالباً نفوس السلف الصالح من آبائهم وأجدادهم الذين لهم فى القبيلة أثر محمود ومقام مشكور لانهم يرون أن نفوسهم أقوى وأقدر على جلب المصالح ودفع المضار فعظموهم لذلك بعد الموت ونصبوا لهم التماثيل ولجئوا اليها يستعينون بهم عند نزول الخطوب وهذا أصل عبادة الأجداد .

هذا وان الدين من غير نظر الى الوحى ابتدأ باعتقاد الانسان ان له موجداً

أوجده وغيره من الممكنات وان له نفساً أو روحاً خالدة تصير بعد الموت فى عالم آخر ذلك مبدأ اعتقاده بالروح والروحانيات ثم توسع فى عالم الروح فاعتقد أن لكل كائن من الكائنات روحاً تدبره حيواناً كان ذلك الكائن أو جماداً وهذه الروح تكون قوية اذا كان الكائن المتصلة به من عظيم المخلوقات وما زال يرتقى فى الوهم حتى تخيل بعض الارواح آلهة فعبدها بعبادة المادة المتعلقة بها ومن ذلك عبادة الهنود لنهر الكنج والمصريين القدماء لنهر النيل والمجوس للنار والصابئين للكواكب وعبادة أهل الهند وافريقية الغربية للأفاعى وما عبادة الشمس وغيرها مما عبد من دون الله الا من هذا القبيل

والأديان تنقسم قسمين — أديان الهية وهى ما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسله الكرام . وأديان وضعية وهي ما ليس كذلك كدين المجوس عباد النار والبراهمة والبوذيين واشباههم — والأديان السماوية كثيرة وهى من حيث ذاتها قبل افسادها بالتحريف والتبديل تتضمن توحيد الله جل ثناؤه ووصفه باوصاف الكمال وتنزيهه عن مشابهة الحوادث وتحث على مكارم الأخلاق والاداب والفضائل وتنص على الأحكام التى تكفل نظام المجتمع وتناسب الزمان الذى أنزلت فيه والذى يليه الى أن تنسخ بشرع رسول آخر فيصبح الناسخ الذى جاء به الرسول المتأخر هو الحق الذى يجب اتباعه ويصبح ماتقدمه من الدين منسوخاً وذلك سر ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حينما رأى بعضهم يقرأ ورقة من التوراة وقال لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعى وقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . والذى يوحى اليه من الله تعالى نبى أو رسول ويطلق النبى عرفا على رجل سليم من منفر معصوم عن كل رذيلة اكمل معاصريه غير الرسل اصطفاه الله من بين عباده وأوحى اليه بشرع سواء أمره بتبليغه أم لا ولو أمر بتبليغه فرسول سواء كان له كتاب أم لا نسخ بعض شرع من قبله أو لم ينسخ ولا جزم فى عدد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال أبو البقاء فى الكليات « وأول رسول ارسله الله الى أهل الارض

نوح عليه السلام أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة فى قوله تعالى كان الناس أمة واحدة انه قال ذكر لنا انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً » . لكن الاكثرون على عد آدم من المرسلين

والاديان السماوية كثيرة ولم يبق منها الآن سوى اليهودية المبعوث بها سيدنا موسى الكليم عليه السلام ويعتنقها ثمانية ملايين ونصف من الانفس والنصرانية المبعوث بها سيدنا عيسى عليه السلام ويدين بها نحو اربعمائة وثلاثة وسبعين مليوناً من الأنفس والاسلام المبعوث به سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ويعتنقه نحو مائتى مليون من الانفس تقريباً

واكثر ديانات العالم اتباعاً الديانة البوذية وهي منسوبة الى بوذا رجل كان فى سنة ستمائة واثنتين وعشرين قبل المسيح قصد بها فى الاصل اصلاح الديانة البراهمية(١) وتهذيب تعاليمها ولكن نشأت بين معتنقى الديانة البراهمية والبوذية منافسات ومناظرات انتهت اخيراً بفوز الديانة البوذية وانتشارها على الديانة البراهمية واكبر انتشارها فى الصين واليابان وكوريا ومنشوريا وتبت ومنغوليا ويعتنقها نحو خمسمائة مليون من الأنفس

ولقد كانت العرب فى جاهليتها تدين بأديان شتى كما ستراه مفصلا فى هذا الكتاب فمنهم عباد الاصنام والشمس والكواكب وغير ذلك ومنهم الموحدون الذين كانوا يستضيئون بهدى الانبياء الذين أرسلهم الله لهم أو لغيرهم من الأمم

ولقد بعث الله فى العرب قديماً انبياء فبعث هوداً (٢) عليه السلام لعاد وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان والى حضرموت بين اليمن وعمان وبعث صالحاً عليه السلام لثمود وكانوا يسكنون بالحجر ووادى القرى بين الحجاز والشام وبعث شعيباً لمدين وكانت منازلهم تجاور

(١) نسبة الى براهمة كبير آلهة الهند

(٢) علماء الانساب يسمون هودا عابرا أو عبيرا على وزن جعفر

أرض معان من أطراف الشام مما يلى الحجاز فكان من العرب من يدين بدين هؤلاء النبيين وا كثر العرب كانوا على دين أبيهم ابراهيم عليه السلام

وسبب كثرة الاديان عندهم مجاورتهم لكثير من الأمم المتدينة فتيسر لهم بالرحلة والتجارة معرفة اديان مجاوريهم وناهيك ببلاد الشأم وهى الارض التى بورك فيها لكثرة من أرسل لها من النبيين فنقلوا تعاليم هذه الديانات الى بلادهم واعتنقها من اعتقدها منهم . وكان التوحيد دين اكثر العرب ثم غلبت الوثنية عليه حتى طمست معالمه وراجت عبادة الاوثان فارسل الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وما زال يغالب الكفر ويهزم جيشه ويفصل شعائر الدين ويدعو الخلق لعبادة الله وحده ويحض على مكارم الاخلاق ويبين الاحكام المتكفلة بسعادة الدنيا والآخرة حتى ردت جيوش التوحيد كتائب الكفر والزيغ مهزومة واصبحت أبطال الضلال والالحاد صرعى مكلومة ولم ينزل به الموت حتى اكمل الله للناس دينه وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الاسلام ديناً وختم به الانبياء والمرسلين فمن ادعى بعد محمد صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه من الله تعالى بشرع فهو ضال كافر

ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام

نسهب القول فى تاريخهما لان اكثر العرب تدين بدينهما فنقول .

ولد ابراهيم عليه السلام بارض بابل بالعراق ونشأ بها فى دولة حمورابى الدولة البابلية الأولى التى هى من سنة الفين واربعمائة وستين قبل الميلاد الى سنة الفين وواحد وثمانين قبل الميلاد وكانوا يعبدون الاصنام ولم يكن بينه وبين نوح نبى الا هود وصالح فدعا قومه لعبادة الله وحده فلم يؤمنوا فطفق يسفه أحلام قومه ويطعن على آلهتهم ثم انتهز فرصة خروجهم فى يوم عيد لهم ولم يخرج وخالف الى اصنامهم فكسرها فلما رأوا منه ذلك أمر نمرود حاكمهم بأحراقه والقى فى النار فجعلها الله برداً وسلاما فلما نجاه الله أجمع امره والذين اتبعوه على فراق قومهم ومعهم لوط عليه السلام ابن أخيه فنزل

ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين و نزل لوط بالمؤتفكة و بينهما مسيرة يوم وليلة ثم ولد لابراهيم من هاجر اسماعيل عليه السلام . وروى أبو هريرة خبر وصول هاجر لابراهيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة فى شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فاخبريه انك أختى فانك أختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الأرض مسلما غيرى وغيرك (١) فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغى لها ان تكون الا لك فارسل اليها فأتى بها وقام ابراهيم الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد فقبضت يده أشد من القبضتين الأوليين فقال ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له انك انما جئتنى بشيطان ولم تأتنى بانسان فأخرجها من أرضى وأعطها هاجر قال فاقبلت تمشى فلما رآها ابراهيم انصرف فقال مَهْيَم (٢) فقالت خيراً كف الله يد الفاجر وأخدم خادماً قال أبو هريرة فتلك أمكم يا بنى ماء السماء » (٣) وانما كانت هاجر أم العرب لأن سارة ملكتها لأبراهيم فولدت له اسماعيل أبا العرب ولم يكن لسارة من ابراهيم ولد فأنها ولدت اسحاق بعد ولادة اسماعيل فيما رووا بأربع عشرة سنة . قال ابن أبى زيد فى نوادره وهاجر أول امرأة ثقبت أذناها وخفضت من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك أن

---

(١) أى فى الارض التى يحكمها ذلك الجبار والا فقد آمن به ابن أخيه لوط وآمن به جماعة من قومه (٢) كلمة استفهام بلغة أهل اليمن أى ما حالك وما شأنك أوما وراءك (٣) يقال للعرب بنو ماء السماء لكثرة ملازمتهم للفلوات التى بها مواقع المطر

سارة غضبت (١) فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها ابراهيم ان تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة فى العرب . وأوحى الله لابراهيم ان احمل اسماعيل وأمه الى مكة . وكان من أمرهما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق(٢) من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة (٣) فوق زمزم فى أعلى المسجد (٤) وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء (٥) فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقاً (٦) فتبعته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا فى هذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذاً لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية (٧) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط (٨) فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى

---

(١) روى انها أخرجت هاجر غيرة منها لا غضبا (٢) المنطق بكسر فسكون ففتح ازار له حجزة (٣) الدوحة الشجرة الكبيرة

(٤) أى مكان المسجد لانه لم يكن بنى (٥) السقاء (بكسر اوله) قربة صغيرة (٦) اى ولى راجعاً (٧) الثنية الجبل (٨) يتلبط يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض

الانسان المجهود (١) حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه (٢) تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث (٣) فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه (٤) حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه (٥) وتقول بيدها هكذا (٦) وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء (٧) لكانت زمزم عينا معيناً (٨) قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة (٩) فان هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم (١٠) مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائراً عائفا (١١) فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء

---

(١) المجهود هو الذى أصابه الجهد بفتح الجيم وتضم المشقة (٢) بفتح المهملة وسكون الهاء وبكسرها منونة كأنها خاطبت نفسها فقالت لها اسكتى (٣) بفتح أوله للأكثر وتخفيف الواو وليس فى الأصوات فعال بفتح أوله غيره — وجزاء الشرط محذوف تقديره فاغثنى (٤) شك من الراوى

(٥) بحاء مهملة وضاد معجمة وتشديد أى تجعله مثل الحوض

(٦) هو حكاية فعلها وهذا من أطلاق القول على الفعل (٧) شك من الراوى (٨) عينا معينا أى ظاهراً جارياً (٩) الضيعه بفتح الضاد أى الهلاك

(١٠) جرهم هو ابن قحطان . وفى رواية عطاء بن السائب وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة (١١) العائف هو الذى يحوم على الماء ويتردد ولا يمضى عنه

فارسلوا جريا أو جريين (١) فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم . قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فالفى (٢) ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس (٣) فنزلوا وارسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم (٤) واعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم(٥)وماتت ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته (٦) فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا (٧) ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة فشكت اليه قال فاذا جاء زوجك أقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه (٨) فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته وسألنى كيف عيشنا فاخبرته أنا فى جهد وشدة قال فهل أوصاك بشئ قالت نعم أمرنى ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك أبي وقد أمرنى أن أفارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم امرأة اخرى (٩)

---

(١) بفتح الجيم وفتح الراء وتشديد الياء أى رسولا وقد يطلق على الوكيل وعلى الأجير قيل سمى به لانه يجرى مجرى مرسله أو موكله

(٢) الفى أى وجد (٣) الأنس بضم الهمزة ضد الوحشة

(٤) أنفسهم بفتح الفاء بلفظ افعل التفضيل من النفاسة أى كثرت رغبتهم فيه (٥) روى ان اسمها عمارة بنت سعد بن اسامة وحكى السهيلى ان اسمها جدى بنت سعد (٦) بكسر الراء أى يتفقد حال ما تركه (٧) يبتغى لنا أى يطلب لنا الرزق (٨) عتبة بابه كناية عن المرأة ـ وقد كانت العرب ترى طلاق النساء كأبيهم ابراهيم

(٩) ذكر الواقدى ان اسمها سامة بنت مهلهل بن سعد وذكر الدارقطنى ان اسمها السيدة بنت مضاض

فلبث عنهم ابراهيم ماشاء ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء . قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو (١) عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقرىء عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له (٢) تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد (٣) ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال أعينك قال فان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (٤) فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك (٥) ومن ذريتنا (٦) أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا (٧) وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا

(١) خلوت بالشيء واختليت اذا لم أخلط به غيره ويقال أخلى الرجل اللبن اذا لم يشرب غيره (٢) « النبل » السهم قبل أن يركب فيه نصله وريشه وهو السهم العربي (٣) يعني من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك (٤) بهذا الحجر يعني مقام ابراهيم (٥) مسلمين أي خاضعين

(٦) يعني واجعل من ذريتنا (٧) أرنا مناسكنا أي عرفنا متعبداتنا في

وابعث فيهم رسولا (١) منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة (٢) ويزكيهم (٣) انك أنت العزيز الحكيم) . ولما فرغا من بناء البيت أمر الله ابراهيم ان يؤذن فى الناس بالحج فاجاب دعاء ربه ونادى أيها الناس كتب الله عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ابراهيم واسماعيل ومن معهما من المسلمين . وقد أمر الله ابراهيم بذبح ولده فامتثل أمر ربه ولما هم بذبحه فداه الله بذبح عظيم . ولقد اختلف فى أى ولديه الذبيح أهو اسماعيل أم اسحق وقد قال بكل من القولين جماعة من المسلمين . قال أبو البقاء فى الكليات واتفقت الأحاديث الصحيحة وتضافرت نصوص العلماء على ان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام على دينه لم يكفر أحد منهم قط ولم يعبد صنما الى عهد عمرو بن لحى الخزاعى فانه أول من غير دين ابراهيم عليه السلام وعبد الاصنام وسيب السوائب — وذكر السهيلى (٤) ان اسماعيل نبى مرسل أرسله الله الى اخواله من جرهم والى العماليق الذين كانوا بارض الحجاز فآمن بعض وكفر بعض — وحكى الحلبى فى سيرته ان اسماعيل ارسل الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن فى زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين فى حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه السلام وتوفى اسماعيل عليه السلام بمكة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر . أما الشرع الذى بعث به اسماعيل فهو شرع أبيه ابراهيم

﴿ المختلف فى نبوتهم من العرب ﴾

لقد أوحى الله دينه لمن ارتضى من خلقه فاذا لم يأمرهم بتبليغ فهم الانبياء وان أمرهم به فهم المرسلون ومن الانبياء المختلف فى نبوته وعدهم أبو البقاء

الحج أو بصرنا بها (١) منهم أى من انفسهم وقد استجيب دعاؤه فلذلك قال رسول الله انا دعوة أبى ابراهيم (٢) الحكمة الشريعة وبيان الاحكام (٣) يزكيهم يطهرهم من الشرك وسائر الانجاس . (٤) ماننقله عن السهيلى فمن كتابه الروض الأنف

فى كلياته فقال (والمختلف فى نبوتهم نيف وعشرون لقمان وذو القرنين والخضر وذو الكفل وسام وطالوت وعزير وتبع وكلب وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان والاسباط وهم أحد عشر وحواء ومريم وأم موسى وسارة وهاجر وآسية — ولم يشتهر عن مجتهد غير الشيخ أبى الحسن الاشعرى القول بنبوة امرأة والواحد لايخرق الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة بدليل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) ولنتكلم على العرب منهم وهم تبع وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان فنقول

اما تبع فهو لقب ملك اليمن لا يلقب به حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت ولا أدرى أى التبابعة المختلف فى نبوته أهو الرائش وهو تبع الأول أو ابو كرب تبان اسعد (١) وهو تبع الآخر أو غيرهما . وتبع الآخر هو الذى عمر البيت الحرام وكساه وجعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فمر بها ولم يهج اهلها وخلف بين أظهرهم ابنه فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها وقطع نخلها فقال له أحد احبار اليهود من أهلها . الملك أجل من أن يطير به نزق أو يستخفه غضب وأمره اعظم من أن يضيق عنا حلمه أو نحرم صفحه مع أن هذا البلد مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم فاعتقد صدقه وتهوّد وادخل اليهودية بلاد اليمن وكان دينهم الوثنية

وأما خالد بن سنان بن غيث العبسى فذهب بعضهم الى انه كان مؤمناً ولم يكن نبياً والكثيرون على نبوته قال الحلبى فى سيرته قال بعضهم لم يكن فى بنى اسماعيل نبى غير خالد بن سنان قبل محمد الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى وكان بينه وبين عيسى ثلاثمائة سنة وخالد هذا هو الذى اطفأ النار التى خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب تعبدها كالمجوس كان يرى ضوءها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب فى الارض فلا يجد شيئا الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها

(١) تبان اسعد اسمان جعلا اسما واحدا فان شئت أضفت كما تضيف معدى كرب وان شئت جعلت الاعراب فى الاسم الاخر

وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد يضربها ويقول بدا بدا بدا (١) كل هدى (٢) وهى تتأخر حتى نزلت الى البئر وهو خلفها فوجد كلاباً تحتها فضربها وضرب النار حتى اطفأها . وقيل انه كان السبب فى خروجها . فانه لما دعا قومه كذبوه وقالوا له انما تخوفنا بالنار فان تسل علينا هذه الحرة ناراً اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم ان قومى كذبونى ولم يؤمنوا بى الا أن تسيل عليهم هذه الحرة ناراً فأرسلها عليهم ناراً فخرجت فقالوا يا خالد اردها فأنا مؤمنون بك فردها قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل رأسه فى جيبه فيجئ المطر ولا يقلع الا أن يرفع رأسه روى ان ابنته قدمت وهى عجوز على النبى فأكرمها وبسط لها رداءه وقال مرحباً بابنة اخى مرحبا بابنة نبى ضيعه قومه فأسلمت (٣) وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفى البخارى أنا اولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة وليس بينى وبينه نبى (٤) قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان . وقد يقال مراده صلى الله عليه وسلم بالنبى الرسول الذى يأتى بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا لما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة

وأما حنظلة بن صفوان فحكى الحلبى ان الله ارسله لاصحاب الرس بعد خالد بن سنان بمائة سنة والرس كما فى القاموس وشرحه « البئر المطوية بالحجارة وقيل القديمة سواء طويت أم لا ومنه ما فى الاساس وقع فى الرس أى بئر لم تطو » سموا بذلك لانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها فغار ماؤها وعطشوا بعد ريهم ويبست اشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماؤها يرويهم ويكفى أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الأنس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة

---

(١) روى ابن عباس ان العرب سمت هذه النار بدأ (٢) فى تاريخ ابن الاثير ان خالداً توسط النار وضربها بعصاه ففرقها وهو يقول بدداً بدداً كل هاد مؤد الى الله الأعلى لادخنها وهى تلظى ولا خرجن منها وثيابى تندى

(٣) روى بعضهم ان البنت التى جاءت الرسول ليست بنته الصلبية بل كانت من ذريته ونسله (٤) قيل كان خالد نبياً قبل عيسى